أسئلة مشروعة (حرب أكتوبر)

السبت 12 أكتوبر 2013 12:10 م

م/عبدالله الدمياطى

مقدمة لابد منها:
إن الحقيقة حالة أزلية قائمة على تواصل البحث لإدراكها، فأحداث كثيرة من الماضي أصبحت حقائق واكتسبت صدقها الزمني لأنها كانت هدف تسعى البشرية إليه، فالبحث المستمر والمتواصل ينتج عنه حقائق اكثر صدقية فحقائق الزمن الماضي لم تعد حقائق في الزمن الحاضر، والعقل هنا ليس أداة تحقق صحيحة لقياس صدق الأحداث، لعجزه ايجاد تفسيرات علمية قاطعة وإنما هو أداة لبناء تصورات عن حقائق مقنعة للعقل الجمعي في الحاضر لكنها قد تصبح غير مقنعة أمام تصورات جديدة أكثر قناعة وصدقا للعقل الجمعي ذاته في المستقبل

نحن نعلم جميعا ان محاولات البحث عن الحقيقية لفهم حرب **6**أكتوبر أو كما يسميها البعض حرب العبور، او حرب يوم كيبور كما تطلق عليها اسرائيل قليلة جدا، ومعظم الكتب والدراسات المصرية التي تناولت هذه الحرب تملئها الرومانسية الوطنية او الاساطير الشعبية ليس هذا مستغربا فالحروب كالثورات تماما، كثيرا ما يتم قتل مغزاها من خلال طرحها كمعجزات كونية غير قابلة للتشكيك أو كأساطير شعبية غير قابلة للتكرار

لقد قرأت كثيرا عن حرب أكتوبر**73** وكان لزاما عليّ أن اقف وقفه قصيرة أقرر بها جملة من المواقف المبدئية، والآراء الشخصية، التى تداعت بقوة بعد قراءتي لمذكرات السفير السوفياتي بالقاهرة **(1970-1974)** فلاديمير فينوغرادوف **Vladimir. M. Vinogradov** والذى يسلط فيه الضوء على اتفاق مصري اسرائيلي امريكي لإشعال حرب اكتوبر**73** والغرض كان ضمان عودة أمريكا كوسيط في المنطقة وتدمير قوات الجيش السوري

و بعيداً عن أي تشنج عاطفي وعن غوغائية لطم الخدود وسياسة التخوين يمكننا أن نتفق على ان كل ما افعله هو طرح الاسئلة التى تنبع من قراءة استراتيجية للحدث الذى ارى فيه تناقض كبير يرفض الكثيرون الاعتراف به

الحقيقة الثابتة لدينا ان حرب اكتوبر كانت حربا مصرية عربية لاستعادة ماء الوجه التي لطخته هزيمة **1967** فقد استطاع الجيش المصري بمساعدة بعض الدول العربية تحقيق انتصار في تخطي خط برليف وبوصوله الى سيناء، لكن يظل السؤال لماذا تمت معاداة مصر من حلفائها العرب ولماذا تحول الوضع بعد الحرب مباشرة من التضامن العربي الى الفرقة والعداء، وكان نتيجة لذلك تقسم العمل العربي على مجموع عواصم عربية ما يفرقها اكثر مما يجمعها، ولماذا قامت الجامعة العربية بطرد مصر منها؟! ولماذا تم تعطيل وتجميد ميثاق الدفاع العربي المشترك ؟!

عنصر المفاجأة الرواية المصرية تركز على ان عنصر المفاجأة هو العامل الأساسي لهزيمة الجيش الإسرائيلي، الحقيقة من اطلق كلمة مفاجأة اراد ان يستخف بعقولنا، الجميع يعلمون جيدا ان قادة اسرائيل وامريكا ليسوا اغبياء، ولديهم مخابرات جيدة بل تعد من اقوى اجهزة الاستخبارات في العالم وهذه حقيقة لا جدال فيها، فكيف اصبح الهجوم المصري السوري مفاجأة والاتحاد السوفيتي أجلى اسر رعاياه السوفيت في مصر وسورية يوم **4** أكتوبر اى قبل الحرب مباشرة؟ وقد تم نقلهم بواسطة سفن الاسطول البحري السوفيتي، وقامت الصحافة الغربية بنشر أنباء إجلاء رعايا السوفيت بصورة جماعية؟! فكيف تم اخفاء كل هذه الترتيبات عن عيون اجهزة المخابرات الاسرائيلية والامريكية؟ ولماذا لم يخبر السادات الأتحاد السوفيتى بساعة الصفر ؟! مع العلم ان السوفيت هم مصدر تسليح الجيش المصرى والسورى ، ولهذا ابلغت سوريا الأتحاد السوفيتى بموعد الحرب قبلها بيومين ولكن السادات لم يفعل وهذا يدل على ان السادات كان يعرف مايسعى له وهو ليس حرب تحرير بالتأكيد والا لما كان استغنى عن الحليف السوفيتى حتى على الأقل لاحداث توازن مع الولايات المتحدة حليف اسرائيل عن طريق ضمان "فيتو" سوفيتى على الأقل؟!

كانت القوات المسلحة المصرية تجرى سنويا في تلك الفترة مناورات الخريف التى استخدمت كتغطية لحشد جميع القوات المسلحة المصرية عمليا من أجل عبور قناة السويس فهل لم يلاحظ ذلك الامريكان واسرائيل ؟! فقد لاحظ ذلك حتى الأهالي وعامة الشعب المصري؟! ان تحركات الجيش المصري كانت واضحة للعيان فكيف لم تثر انتباه اسرائيل؟!

ولماذا توقف مسار الجيش المصري بعد عبوره القناه؟! ولماذا لم يواصل الجيش المصرى الزحف فى عمق سيناء وتحرير الأراضى برغم من عدم وجود قوات اسرائيلية قادرة على صده؟! ولماذا لم تكن للجيش المصري خطط لما يفعله بعد العبور؟!

لماذا لم ينتبه الجيش المصري للفراغ الكبير بين الجيش الثالث المصري والثاني الذي كان حوالي **40** كلم الامر الذي سمح لشارون التوغل

بينهما بسهولة كبيرة؟! وكيف استطاعت الدبابات الاسرائيلية عبور القناة الى ضفتها الغربية؟
لماذا لم يكترث الرئيس السادات لهجمة شارون منذ البداية رغم مطالب فينوغرادوف السفير السوفيتى التعامل بسرعة مع أولى الدبابات العابرة للقناة وبرر السادات رفضه بان تلك العملية لا تأثير عسكري لها على الحرب بل مجرد مناورة سياسية فاشلة ولا ضرر منها، واستمر على رأيه حتى بلغ الاسرائيليون الضفة الغربية واصبح الأمر اكثر خطورة، فالسادات يكون هنا قد تعمد فتح الأبواب على مصراعيها للإسرائيليين!
ولماذا قام السادات بطرد المستشارين السوفيت، وقام بالارتماء الكلي في المشروع الامريكي؟ الذي باعه الوهم عندما اكتشف ان وضعه كل بيضه في السلة الامريكية، كان انتحارا فرض عليه الخضوع للإملاءات والحلول الامريكية التي كانت تصب فى مصلحة الجانب الإسرائيلي ؟
كامب ديفيد ونصر أكتوبر، ما الذى أدى إلى تلك المعادلة الشاذة! كيف لمنتصرٍ أن يقبل بالمفاوضات فضلاً عن معاهدة, مع المهزوم؟
طالما نحن انتصرنا لماذا المعاهدة إذاً؟ ومع من مع العدو المهزوم؟

ويبقى ان نطرح السؤال الاخير من انتصر في حرب اكتوبر